جادامر وسؤال المنهج فى الفكر الغربى المعاصر

Hermeneutics Hans-Georg Gadamer And question of the method

أ. محمد أمين بن جيلالى[١]

البريد الإلكترونى: amine.bendjilali@yahoo.fr

الملخص التنفيذى:

حينما تفاعلت التأويلية مع حقل الفيلولوجيا ومُورس النقد التاريخى على النص المقدس بدأ التقعيد لفكرة المنهج فى العلوم الإنسانية، ثم بدأت المحاولة لتأسيس تأويل موضوعى لظواهر العالم، فى هذا السياق احتل المنهج فى الفضاء الوضعى مركز الحقيقة التى استمدت مصدر يقينها من التجربة، من هنا اعتبرت الهيرمينوطيقا بديلاً للتجريبية. لكن لم تُوفّق جلّ المقاربات الفلسفية فى التوفيق بين الظواهر الطبيعية والظاهرة الإنسانية التى تحتاج إلى منهج مغاير قائم على الفهم، فبعد اتصال التأويلية بالفينومينولوجيا، رفض هانز جورج غادامير H. G. Gadamer (١٩٠٠-٢٠٠٢) موقف «دلتاى» وظلّ وفياً للمنحى الأنطولوجى الذى أسسه «هايدغر»، هذا الأخير الذى يرى بأنّ الهيرمينوطيقا تُشير إلى واقعة الفهم بما هو كذلك، على اعتبار أنّ الإنسان يحمل المعنى والدلالة المُوصلة إلى الحقيقة، لذلك فمن خلال مؤلفه: «الحقيقة والمنهج» ١٩٦٠ تمكن «غادامير» من أن يُنصّب نفسه ناقداً جذرياً للميل الميتودولوجى، فهو ينطلق من أنّ علاقة الفهم

١- أستاذ الفلسفة والعلوم السياسية - جامعة بومرداس، أكاديمي وباحث في الفلسفة السياسية المعاصرة.

بتجربتنا الكلية تتجاوز إطار المنهج بمعناه الكلى، فكان من هنا تأسيس الهيرميمنوطيقا الفلسفية، علماً أنّ الحقيقة عند «غادامير» ليست مضمونة بمنهج لأنّ هناك حقائق مغايرة للعلوم الطبيعية (الفن، التاريخ واللغة) وأنّ الفهم يتأسس على الجدل والحوار.

كلمات مفتاحية: التأويل، الحقيقة، التراث، الأحكام المُسبقة، اللغة، التجربة المَعيشة، تاريخية الفهم.

مقدمـــة:

يمتدُّ المنهج فى استشكاله داخل الدراسات الإنسانية إلى عصر ما قبل النهضة، فقد ارتد السؤال عن المنهج وبداية التفكير فيه وبه، إلى لحظة اصطدام اللاهوت المسيحى بالعلم، فى هذه الأثناء بدى العلم بمناهجه وتطبيقاتها صامداً أمام الزعم اللاهوتى والميتافيزيقى حول نظريات العلم. موازاةً لذلك، ارتبطت التأويلية بفقه اللغة والتحليل النقدى التاريخى للنصوص المقدسة، وبدأ التقعيد لفكرة المنهج حينما سادت النظرة الميتودولوجية. فى المقابل نهضت محاولة التأسيس للتأويل الموضوعى وُفقاً لمعطيات المنهج التجريبى وكان هذا نتيجة للصراع بين المدرسة التجريبية والنزعة الإنسانية، فى هذا السياق احتل المنهج فى الفضاء الوضعى مركز الحقيقة التى استمدت مصدر يقينها من التجربة. وبالتالى هناك من اعتبر الهيرمينوطيقا كبديل للتجريبية فـ: «ديلتاى» يرى بأنّ الهيرمينوطيقا بمثابة منهج للعلوم الإنسانية، لكن لم تُوفّق جلّ المقاربات الفلسفية فى التوفيق بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الإنسانية التى تحتاج إلى منهج مغاير قائم على الفهم، حتى جاءت المقاربة الغاداميرية بمنحى جذرى للهيرمينوطيقا. بناءً على الإطار النظرى السابق نطرح الاستشكال التالى: ما هى أسس المساءلة النقدية التى قدمها غادامير للمنهج فى العلوم الإنسانية

بعد استحكام الهيرمينوطيقا الفلسفية؟ الهيرمينوطيقا: «استراتيجية تنفلت من المنهجية»[١]، كيف؟

أوّلاً: الجهاز المفاهيمى للدراسة: فى أشكلة المفهوم

يستشكل على القارئ منذ الوهلة الأولى العلاقة المفهومية بين الهيرمينوطيقا والمنهج، فى رحلة البحث عن إجابة لسؤال هل الهيرمينوطيقا هى منهج أو العكس هل هناك منهج هيرمينوطيقى؟ الذهاب نحو التفريق بين المصطلحين واكتشاف العلاقة بينهما هو فى حد ذاته مغامرة ابستيمولوجية، لكن مع ذلك وجب علينا على الأقل تحديد الموقع الذى يحتله كلا المفهومين ضمن فلسفة غادامير. لكل مصطلح دلالته السياقية والايتيمولوجية التى تستوقف الباحث للتدقيق فيما جاءت به من معانى، يمكن أن تفيد فى تحليل السؤال الاستشكالى، والتأصيل النظرى للمفهوم. نعزم من خلال هذه الوظيفة المنهجية المتوخاة من الشبكة المفاهيمية أن نعرض لتحديد المفهوم فى صورته الإشكالية، لتمكين الفهم، وتحديد اللُّبس.

تعد كلمة **Hermeneutics** (هيرمينوطيقا) التعبير الإنجليزى للكلمة اليونانية الكلاسيكية **Hermeneus** (هُرمس)، وتعنى المُفسّر أو الشارح [...] ففى الأسطورة اليونانية[٢]، كان هُرمس رسول الآلهة، يتميّز بسرعته ورشاقته، وكان عمله هو أن

---

١ – عبد الله بريمي، «غادامير أم ريكور»، ص١، انظر الرابط:

www.ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=504

٢– يشير سقراط في محاورة «كراتيلوس» (cratylus) إلى أنّ هُرمس هو الإله الذي خلق اللغة والكلام، ويمكن أن يكون مؤوّلاً (interpréteur) أو رسولاً، كما عليه أن يكون لصاً أو كاذباً أو مُحتالاً، والكلمات كما يقول سقراط لها القدرة على الكشف مثلما لها القدرة على الإخفاء، ويمكن للكلام التعبير عن الأشياء جميعاً، كما يمكن أن يُحوّل الأشياء من طريق لآخر، أيضاً لأنّ بان ابن هرمس ذو نصف علوي لطيف ورباني، وآخر سفلي ماعزي يُعدّ أمراً ذا دلالة عند سقراط أنّ اللغة من شأنها أن تتفكك إلى شقين هامين: الأول حقيقي، والثاني زائف، حيث يقرن الأول بالرب والثاني بالشقاء الإنساني. انظر:

ينقل إلى الناس فى الأرض رسائل وأسرار آلهة أوليمبوس (Olympus)[١]. إلّا أنّ غادامير يرى أنّ هذا الجذر اللغوى مُلتبس فى الوظيفة الدلالية فيذهب إلى الرأى التالى: «نجد فى الاستعمال القديم للّفظ نوعاً من الإلتباس. فقد أُعتبر هرمس (Hermes) رسول الآلهة إلى البشر، كما أنّ الأوصاف التى دلّ عليها هوميروس تُظهر غالباً أنّ هرمس يُبلّغ حرفيًّا ويُنجز كاملاً ما وُكّل بتبليغه»، لا توجد إذن دون شك أى صيغةٍ لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكهنى[٢]. وبعد أن ينفى هذا التقارب، يصل غادامير إلى المعنى الذى يؤكد دلالة المصطلح على التفسير: «هكذا تطور المعنى المعرفى لـ (Hermeneias) و (Hermeneus) فى الهيلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمى أو المؤوِّل المترجم»[٣]. وعليه فمهمة هُرمس هى بناء جسر التفاهم بين البشر والآلهة وجعل ما يبدو لاعقلى شيئاً ذى معنى إذن تتعلق الهيرمينوطيقا بالتفسير وحتى بالترجمة فيما يتعلق بالنصوص الدينية المقدسة[٤]. تنسج هذه الفقرات لمدلولات متعددة حول الهيرمينوطيقا أو التأويلية من قبيل التبليغ، الشرح، التفسير، والترجمة. هذه الدلالات تحيل إلى مجموعة من الأدوات المنهجية يعتمدها المؤول فى التفاعل مع النص بالقراءة والتأويل.

= آمال منصور، «الهيرمينوطيقا واشكاليات تأويل الخطاب الديني»، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الادب العربي، جامعة بسكرة، ص٤. انظر الرابط:

www.lab.univ-biskra.dz/Labreception/images/labreception/doc_pdf/critique_heurmoneyique_pdf.pdf

١- دافيد جاسبر، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط.١، ٢٠٠٧، ص ٢١.

٢- غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم بيروت، والمركز الثقافي العربي المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر-بيروت، ط.٢، ٢٠٠٦، ص-ص٦١-٦٢.

٣- مرجع نفسه، ص٦٢

٤- دافيد جاسبر، مرجع سابق، ص٢١

إذن، الهيرمنيوطيقا هي طريقة لحلّ وفك الرموز؛ [...] هدفها الأول والأساسي تأسيس منهج أو طريقة تأويلية ذات قيمة عالمية تشمل المقدس وغير المقدس إنّها «علم ونظرية للتأويل»، أيضاً تهدف إلى إقامة الشروط والمبادئ الموضوعية الأكثر شمولية للتأويل، وهذه القواعد تخضع لمقاييس هي: التقيد بالنص، مبدأ تعدد التأويلات ومبدأ عدم التكافؤ[١]. لكن غادامير يصف الهيرمينوطيقا، بأنّها اختزلت نفسها في هيرمنيوطيقا قواعدية، لم تسلم من تأثير مناهج العلوم الطبيعية[٢]. وهذا ما لم يتقبّله غادامير نفسه.

إنّ المنهج بالمعنى الفينومينولوجي له قصدية هي الفهم، والوصول إلى الغاية المقصودة، والوعي بالطريق المفضي برصانة إلى الهدف المحدد، وهو الحقيقة. لذلك نجد تحديد للمصطلح بنفس المنطق في الأدبيات المنهجية للبحث العلمي.

يُعرّف المنهج بـ: «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تُهيمن على سير العقول وتُحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[٣]. هذا التعريف يثير فينا الحدس الادراكي والحس النقدي، من الوهلة الأولى، نلاحظ أنّ المنهج بهذا المعنى يقبل حقيقة واحدة، في حين أنّ الحقيقة في التصور الابستيمولوجي ما بعد الحداثي (العلم نسبي) هي حقائق، انفتاح على العالم. فالحقيقة ذاتية وموضوعية في الآن نفسه.

١- مليكة دحامنية، «فصول في القراءة والتأويل من خلال نماذج غربية معاصرة»، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر ٢، ٢٠١٠-٢٠١١، ص٤٨.

٢- شادي كسحو،«حدود المنهج: مدخل إلى هرمنيوطيقا غادامر»، ص٢، انظر الرابط: www.alawan.org

٣- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقترابات، والأدوات، الجزائر، دار هومة، ٢٠٠٢، ص١٢.

لكن، هناك افتراض مُسبق بموضوعية المنهج [...] وهذا ما يبدو أنّه مُضلل هنا، فكلمة «Methodos» تعنى، بالمعنى القديم، مجمل النشاط فى حقل معين من القضايا والمشكلات. وبهذا المعنى فإنّ المنهج ليس وسيلة لإضفاء الطابع الموضوعى والمهيمن لشىء ما إنّما هو هنا يتعلق بتوقعاتنا من جهة ارتباطها بالأشياء التى نعالجها. وهذا المعنى للمنهج، بوصفه عملاً يتلائم مع شىء آخر، يَفترض سلفاً أنّنا نجد أنفسنا فى خضم اللعبة، وأنّه ليس بوُسعنا أن نشغل موقعاً محايداً حتى لو بذلنا كل ما بوُسعنا من أجل الموضوعية، ووضعنا تحيزاتنا جانباً[١]. إذا كان المنهج يعكس صرامة خطواته ووثوقية نتائجه، فهذا ناتج عن التركيز على العقلانية المثالية التى اعتبرت أنّ العلم مطلق. وبالتالى استخدام المنهج ضمن النسق العقلانى المثالى يؤدى إلى نتائج مضمونة ودقيقة. نهض غادامير ضدّ هذا التصور برؤية جذرية للمنهج تنتشله من جدل المطلق والنسبى، وهو ما يطبع عمله الفكرى الموسوم بالحقيقة والمنهج.

هانز جورج غادامير «ميلاد جذرى»؛ فيلسوف ألمانى ولد فى ماربورغ فى ١١ فبراير ١٩٠٠، أى ٢٥٠ سنة بعد وفاة ديكارت فى ١١ فبراير ١٦٥٠ فلا يمكن أن ننكر تأثير المنهج الديكارتى على تأويلية غادامير فى بعدها الإبستيمولوجى، لكن المنحى الأنطولوجى والفنى والفلسفى فى تأويلية غادامير يستقل عن صرامة المنهج بإدراجه للتصورات المُسبقة (Prejuges)[٢] والتى كانت محلّ شكوكٍ وتحفظاتٍ فى

١- هانز جورج غادامير، بداية الفلسفة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٨.

٢- كان ديكارت، كما يرى غادامير في كتابه العمدة الحقيقة والمنهج، الأول من بين المحدثين الذي أحاط مفهوم «الحكم المسبق» بسمعة سيئة في العالم الحديث. وبالمقابل اتخذ غادامير مهمة إعادة الأحكام المسبقة التاريخية والتراثية إلى موقعها الحيوي كاشتراطات لإمكانية أي فهم يمكن أن نتوفر عليه. انظر: هانز جورج غادامير، التلمذة الفلسفية: سيرة ذاتية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، بنغازي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣، ص١٥.

المنهج الديكارتى الذى أسس فكرة العالم فى العصور الحديثة على فكرة البداهة واليقين. الشك الديكارتى يستسلم فى نهاية المطاف إلى وضاحة المنهج وبداهة الفكرة الأمر الذى دفع غادامير إلى تجنيد الشك النيتشاوى الراديكالى، نيتشه الذى توفى سنة ١٩٠٠ وهى سنة ميلاد غادامير[١]. إنّ التلازم والتزامن بين التاريخين (الوفاة والميلاد) هو رمزية على التواصل على المستوى الفكرى بين غادامير ونيتشه، كما هو الاتصال بين المدارس والتيارات الفلسفية.

فبعد إتصال التأويلية بالفينومينولوجيا، رفض غادامير موقف «دلتاى» وظلّ وفياً للمنحى الأنطولوجى الذى أسسه «هايدغر» (Martin Heidegger، فيلسوف ألمانى ١٨٨٩-١٩٧٦) هذا الأخير الذى يرى بأنّ الهيرمينوطيقا تشير إلى واقعة الفهم بما هو كذلك، على اعتبار أنّ الانسان يحمل المعنى والدلالة الموصلة إلى الحقيقة، لذلك فمن خلال مؤلفه: «الحقيقة والمنهج» عام ١٩٦٠ تمكن «غادامير» من أن يُنصّب نفسه ناقداً جذرياً للميل الميتودولوجى، فهو ينطلق من أنّ علاقة الفهم بتجربتنا الكلية تتجاوز إطار المنهج بمعناه الكلى. من هنا كان تأسيس الهيرمينوطيقا الفلسفية، علماً أنّ الحقيقة عند «غادامير» ليست مضمونة بمنهج لأنّ هناك حقائق مغايرة للعلوم الطبيعية (الفن، التاريخ واللغة) وأنّ الفهم يتأسس على الجدل والحوار. وعليه فغادامير فيلسوف هرمينويطيقى «تأويلى» بإمتياز، ولذا فإنّه لا يمكن فهم مُنجزه الفكرى هذا دون فهم سياق الفلسفة التأويلية «الهرمينوطيقية»[٢]. أساساً غادامير كان وسمه لكتابه بالعنوان السابق هو فى حد ذاته وسم إشكالى، يخلق قلق فلسفى فى الذات المتأملة، فهو كتاب مستديم أو مستدام فى النمو من حيث الترجمة أو القراءة الفلسفية.

١- غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، مرجع سابق، ص-ص١٠-١١.

٢- عبد الله المطيري، «قراءة في كتاب الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية لهانز جورج غادامير»، ص١، انظرالرابط:

www.alriyadh.com/311513

يقول «جول فاينشايمر» و«دونالد مارشال» مترجماً كتاب «الحقيقة والمنهج» للإنجليزية: «واحد من أهم كتابين أو ثلاثة فى هذا القرن عن الفلسفة والدراسات الإنسانية»[١]. يرمى هذا الكتاب إلى تفكيك العلاقة بين الحقيقة والمنهج، باعتباره ارتباط كان قائماً فى العلوم الطبيعية غير أنّ المسألة تختلف فى العلوم الإنسانية فيرى غادامير أنّ طريق الحقيقة ليس هو المنهج بالضرورة. على هذا الأساس يرفض المنهج فى دراسة النص أو الوصول إلى الحقيقة. فالمنهج لدى غادامير هو «شىء ينبع من الذات ليُوصل إلى نتيجة، هذه النتيجة لا تعنى الحقيقة أبداً كما هو الحال فى العلوم الطبيعية. أراد غادامير إذن القضاء على دوغمائية ارتباط الحقيقة بالمنهج. على هذا التحديد السياقى نفهم من العنوان أنّ الواو هى واو الفصل التحطيمية وليس الوصل العطفية بين الحقيقة والمنهج[٢]. يجب على المنهج أن ينفتح على الحقيقة بمفعولاتها (أحداثها الجمالية الفنية والتاريخية واللغوية) هذا الذى يبغيه غادامير فى مشروعه الفلسفى، ولا يتم ذلك إلاّ بنقل مساحة التفاعل بين المنهج والحقيقة من الفضاء الابستيمولوجى إلى الأرضية الأنطولوجية، من هنا تبدأ رحلة الحدوث مع غادامير فى البحث عن الأبعاد المُتكثّرة للحقيقة (الحقيقة لوحة فسيفسائية) بامتطاء سفينة الفهم والتأويل.

ثانياً: الهيرمينوطيقا وفلسفة الحدوث فى فكر غادامير:

لعلّ المنعطف التاريخى والمعرفى الهام الذى سجّله غادامير فى تاريخ فن التأويل هو إصداره سنة ١٩٦٠ لكتابه الشهير: «الحقيقة والمنهج: الخطوط الكبرى لفن التأويل الفلسفى»؛ يتناول فيه تفاعل المستويات الكبرى للتجربة التأويلية والمتمثلة

١- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٩.
٢- المرجع نفسه، ص١٥.

فى اللغة وعلاقتها بفاعلية الحوار ضمن نسيج لغوى حى، والتاريخ كبعد أساسى من أبعاد «الوعى التاريخى»، والجمال كلحظة تأويلية وتجربة أنطولوجية تتجلى فيها فاعلية «الفهم» وفهم «القصد المباشر» للمؤلف فى علاقة حوارية خلاّقة[١]. إنّ غادامير وعلى غرار هايدغر يرفض تلك النظرة التى ترى فى الهيرمنيوطيقا مجرّد منهج للعلوم الإنسانية والتاريخية. فالهيرمنيوطيقا فى نظره تتمركز حول عملية الفهم الإنسانية، والفهم ليس فعلاً نُحققه منهجيًا وموضوعيًا، وإنّما هو حدث. إنّنا نعلم تبعًا لجان غراندان Jean Grandan (متخصص فى مجال الهيرمينوطيقا والأنطولوجيا) أنّ العنوان الأول لمؤلف «الحقيقة والمنهج» كان من المفترض أن تكون«الفهم والحدث Compréhension et événemen»فالمسألة لا تتعلق بما يجب أن نفعله، وإنّما المهم الذى يحدث فيما وراء إرادتنا وفعلنا : « فلا تتعلق كما يقول غادامير عندما نفهم ونسكن العالم»[٢]. إذن، بهذا الفهم، فإنّ لحظة الفهم تستقر عند غادامير فى نقطة الحدث، الحدث بما هو «ما وراء»، فالفهم هو حدث يبحث عن قصدية الفعل، وبمصطلح آخر فينومينولوجيا الفعل، التى تهدف إلى تأويله باعتباره نص أو واقع. لم ينطلق غادامير من فراغ، بل كانت له ركيزة توجيهية هى التراث التأويلى.

١- هانز جورج غادامير، «مدخل الى أسس فن التأويل: التفكيك وفن التأويل»، ص١. ترجمة محمد شوقي الزين، انظر الرابط:

www.aljabriabed.net/n16_08azin_gadami.htm

٢- هشام معافة، «هيرمينوطيقا الفن عند غادامير»، مذكرة ماجستير، فرع الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة باتنة، السنة الجامعية: ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص١٣.

رابعاً: المنحى الهيرمينوطيقى عند شلايرماخر وديلتاى وهيدجر: فى اعتبار المنهج

اتّبع غادامير التقليد التأويلى لدى شلايرماخر، ديلتاى ولكن بصفة خاصة هايدغر[١]. فاتجاه غادامير لتطوير التأويل الفلسفى (بالتركيز على أسئلة الفهم والبحث عن المعنى والحقيقة)، يدين أكثر لآراء هايدغر[٢]. فى هذا التقليد نحن بصدد الحديث عن ثلاثة مستويات: المستوى المنهجى، المستوى المعرفى والمستوى الأنطولوجى، وهى مستويات تعبر عن العلم فى تشكله، والنظرية فى بنائها. من هنا وبنظرة متفحصة، نجد أنّ غادامير هو مؤسس علم ونظرية التأويل فى الفلسفة الغربية المعاصرة، لكن المفارقة أنّه يعتبر التأويل فنّ للفهم وفهم الفهم.

الموقف المنهجى لدى شلايرماخر:

سادت نظرية تقسيم الأحكام المسبقة خلال عصر التنوير (أحكام ناشئة عن السلطة، وأخرى عن التسرع)، وهو تقسيم يستند إلى الافتراض الأنوارى الذى مفاده ضرورة استخدام العقل استخداماً منهجياً مضبوطاً يُزيح عن الخطأ. وكانت هذه فكرة المنهج لدى ديكارت. يقوم هذا التقسيم على تناقض متبادل بين السلطة والعقل. ويأتى شلايرماخر للتمييز بين التحيز (تحديد فردى للفهم) والتسرُّع كأسباب لسوء الفهم. إنّ تغيير فريدريش دانييل شلايرماخر **Frederic Schleiermacher** (فيلسوف ولاهوتى ألمانى، ١٧٦٨-١٨٣٤) للتقسيم التقليدى للأحكام المسبقة يوثّق انتصار عصر التنوير ونتائجه. هاته النتائج الجذرية يمكن أن

---

1 - Hans-Georg Gadamer, trad. fr. par P. Fruchon, J. Grondin, G. Merlio, **Vérité et méthode** : **les grandes lignes d'une herméneutique philosophique**, Paris, Seuil, 1996 See: www.orbi.ulg.ac.be/bitstream/2268/177088/1/Vérité et méthode.Gadamer.Présentation.pdf; P .2

2 - Amar Djaballah, «L'herméneutique selon Hans-Georg Gadamer », *théologie évangélique* vol. 5, n° 1, 2006 p P32.

نجدها فى إيمان شلايرماخر بالمنهج[١]. يستمد شلايرماخر إيمانه العميق بفكرة المنهج من نزعته اللاّهوتية الموغلة فى صرامة قواعد فهم الكتاب المقدس وتأويله تأويلاً فيلولوجياً (الفهم وُفقاً لقواعد اللغة) بالرغم من أنّ شلايرماخر تراجع عن تطبيقاته للفيلولوجيا فى مرحلة ما من مسيرته الفكرية.

إنّ الهيرمنيوطيقا لم تعرف تحولاً مماثلاً إلاّ مع مجىء شلايرماخر، الذى يمكن وصف ما أحدثه بالانقلاب الكوبرنيكى. لقد قدّم شلايرماخر السؤال المهم :ما الفهم؟ على سؤال معنى هذا النص أو ذاك من النصوص المقدسة أو الدنيوية. وإليه يرجع الفضل فى تحرير التأويل كمبحث عام وعالمى، من كل عناصره العقائدية والنظر إليه بوصفه مبحثاً خاصاً يُعنى باللاّهوت وتفسير النصوص الدينية. وما تصوره للهيرمنيوطيقا على أنّها فن الفهم ما هو إلاّ نقدٌ جذرى للاتجاه الفيلولوجى. إنّ الهيرمنيوطيقا لم تعد مجرد مجموعة من القواعد، بل أصبحت علماً يصف الشروط اللاّزمة للفهم[٢]. هذا الاتجاه الذى أبان عنه شلايرماخر يعود بالأساس إلى تأثره بالنزعة السيكولوجية التى تعتنى بظروف المؤلف والتركيز على ما هو ذاتى وفردى لتشييد الفكر من خلال تأويل النص.

وبالتالى ينحصر الموقف المنهجى عند شلايرماخر فى أنّ تفكير الإنسان بل وجوده كلّه تحدده اللغة، وأنّ فهم الإنسان لنفسه وللعالم تقدّمه اللغة، رغم أنّه فيما بعد تخلّى عن هذا الموقف وتبنّى النزعة السيكولوجية بإعادة بناء العملية الفكرية للمؤلِف. وقد اقتفى دلتاى أثر شلايرماخر حين افترض أنّ مهمة الهيرمينوطيقا هى اكتشاف قوانين الفهم ومبادئه[٣].

١- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، مرجع سابق، ص٣٨٣-٣٨٥.

٢- هشام معافة، مرجع سابق، ص-ص.١١-١٢

٣ - عادل مصطفى، فهم الفهم: مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص-ص١١٠-١١١.

قام شلايرماخر بإخراج الهيرمينوطيقا إلى مختلف العلوم حيث أسّس مجموعة من القواعد والمعايير التى تحكم عملية الفهم والتحليل[١]. لكن إذا كان الفهم يتعلق بالتنشئة الفردية الثقافية[٢]، فهل نحن بحاجة إلى منهج للفهم؟ يجيب شلايرماخر بالنفى ويُعلّل ذلك بأنّ منهجاً مثل هذا لم يرى النور إلى حدّ الآن، بل تمّ الاكتفاء بقواعد تهمُّ مجالات خاصة (كالنصوص المقدسة)[٣].

فيلهيم ديلتاى: المنهج كمشكلة ابستيمولوجية

لقد استندت تأويلية شلايرماخر إلى تجريد منهجى مصطنع حاول أن يؤسس وسيلة كلية للعقل، ولكنه حاول استخدام هذه الوسيلة للتعبير عن قوة الإيمان المسيحى المنقذة؛ بيد أنّ التأويلية لدى ديلتاى W.Dilthey [1833-1911]، فيلسوف ألمانى معاصر يمثل ما يسمى بتيار الحياة، فى كتابه الهام «مدخل إلى دراسة العلوم الإنسانية» يبحث عن «الاستقلالية المنهجية» لعلوم الإنسان أو «علوم الروح»؛ بتعبيره الألمانى Geisteswissenschaften] فى تأسيسه للعلوم الإنسانية هى أكثر من وسيلة. إنها الوسيط الكلى للوعى التاريخى، حيث لا يعود هناك وجود لأيّةِ معرفةٍ

---

١ – مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، «الهرمنيوطيقا وحدود الفهم»، ص٣، انظر الرابط: www.cerhso.com/detail-science-humaines.asp?idZ=8&id=1

٢– عُرف شلايرماخر بنظرية الفعل الالهامي التي كانت اللحظة الحاسمة في تطور نظرية الدائرة التأويلية the hermeneutic circle، والتي انتهت الطروحات حولها بانها ليست شكلية، ولا ذاتية، ولا موضوعية، إنما هي تصف تفاعل حركة التراث وحركة المؤول. وهو ما ذهب اليه هايدغر حينما اعتبر أنّ توقع المعنى الذي يحكم فهمنا لنص ما ليس فعلاً ذاتياً، إنما هو فعل ينبثق مما يربطنا بالتراث. الذي ننتجه بقدر ما نفهم ونشارك في تطوره، ومن ثم نحدده نحن، فهو ليس مجرد شرط مسبق ثابت، وعليه فان دائرة الفهم ليست دائرة «منهجية»، وانما هي تصف عنصراً في بنية الفهم الانطولوجية. انظر: هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، مرجع سابق، ص٤٠٢.

٣ – نبيهة قارة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨ ١٩٩٨، ص٤٥.

للحقيقة سوى فهمٌ للتعبير، ومن خلال ذلك، فهمٌ للحياة. فكل شىء فى التاريخ يمكن فهمه؛ لأنّ كل شىء نص[١]. يبدو أنّ ديلتاى استلهم رؤيته للعالم والحياة من تناقض وتعارض الاتجاهات (المثالية الألمانية/ التجريبية الانجليزية) هو يؤمن إيماناً مطلقاً من أنّ الفلسفة مصدرها تأمل خبرات الحياة، فى الوقت الذى يعتقد أنّ الحياة هى بحث عن المعنى، وأنّ العلاقة بين الانسان والطبيعة هى علاقة جدلية.

اتخذ ديلتاى من هيرمنيوطيقا شلايرماخر العامة قاعدة انطلق منها لبلورة معالم هيرمنيوطيقاه، حيث تمكّن من أن يرسم لنفسه نهجاً متميّزاً ضمن الخارطة الإبداعية الألمانية، منطلقاً فى إرساء قواعدها من نقده للنظرة التى ترى فى طُرق التفكير الخاصة بالعلوم الطبيعية النموذج الأمثل، الذى ينبغى أن تُبنى على أساسه العلوم الإنسانية. وهى علوم لا يمكن تفسيرها فى رأيه بمناهج العلوم الطبيعية، إذ تتناول ظواهر من إبداع البشر، ولهذا استخدم الفهم كمنهج يتناول الخبرة الحيّة، عكس العلوم الطبيعية التى تأخذ الأسباب الموضوعية. إذن فقد كانت مشكلة دلتاى هى إعطاء العلوم الإنسانية صلاحية مماثلة لتلك الخاصة بالعلوم الطبيعية فى عصر الفلسفة الوضعية[٢]. لقد تولدت تقابلات على المستوى الايتيمولوجى فى مسألة المنهج لدى ديلتاى فى مقارنته بين علوم الطبيعة وعلوم الإنسان، فمثلاً؛ المنهج والفهم، التجربة والخبرة المعيشة، التجريب والتعبير، إلخ. كلّها تعارضات تكشف عن الغموض الذى حجب فهم نظرية المعرفة القائمة على أساس التصنيف الابيستيمى عند دلتاى.

كان مشروع دلتاى هو صياغة منهج ملائم للعلوم الإنسانية الروحية وكان على وعى واضح بعجز منهج العلوم الطبيعية عن مهمة الإمساك بكل الظاهرة الإنسانية. ومن هنا نظر إلى هذه المهمة على أنّها مشكلة ابستيمولوجية من جهة، وعلى أنّها تتطلب

---

١ – هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، مرجع سابق، ص٣٣٨.
٢ – هشام معافة، مرجع سابق، ص١٢.

تعميق تصورنا للوعى التاريخى من جهة ثانية، وأنّها تعكس حاجة إلى فهم التعبيرات التى تنبع من الحياة ذاتها من جهة ثالثة، وهى ثلاث عوامل ينبغى فهمها لإزالة اللُّبس الحاصل على مستوى التفريق بين منهج العلوم الإنسانية ومنهج العلوم الطبيعية[١]. إنّ مفهوم الحقيقة لا يمكن أن يُفهم إلاّ انطلاقاً من فكرة المنهج. يرفض غادامير هذا النوع من الحقيقة لهذا السبب، فهو يختلف مع ديلتاى فيما يتعلّق بتصور هذا الأخير الميتودولوجى والمنهجى للهيرمينوطيقا[٢].

خامساً: غادامير والخط الفينومينولوجى فى تحرير الهيرمينوطيقا من أسر المنهج:

يعتقد «إيميليو بيتى» **Emilio Betti** (أحد فلاسفة التأويل فى إيطاليا) بأنّ غادامير أراد أن يقترح علينا منهجية معينة لبلوغ الحقيقة، وأنّ الهم المركزى لغادامير هو تقويض الزعم الدلتايى من أنّ العلوم الإنسانية تمتلك الحقيقة[٣].

لكن مع هايدغر يشهد المنهج الهيرمنيوطيقى قفزة جديدة، إذ سيرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة، وخاصة الفينومينولوجيا، فقد أقام هايدغر الهيرمنيوطيقا على أساس فلسفى، والفلسفة على أساس هيرمنيوطيقى، وكلاهما صحيح، كما يرى «نصر حامد أبو زيد»، طالما أنّ الفلسفة هى فهم الوجود، والفهم هو أساسى. إنّ الهيرمنيوطيقا بهذا المعنى لا تُعنى بتأويل النصوص، ولاهى فلسفة عن جوهر الوجود، ولا حتى منهجًا للعلوم الإنسانية، وإنّما تعبيرعن كشف فينومينولوجى للوجود الإنسانى ذاته. فالفهم والتأويل هما أسلوبان لوجود الإنسان. وهكذا، فقد

---

١ – عادل مصطفى، مرجع سابق، ص١١٨

٢ – عبد الله بريمي، مرجع سابق، ص٢.

٣- جان غراندان، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧، ص١٢٥.

عمّق هايدغر من مفهوم الهيرمنيوطيقا، وبضربة واحدة أصبحت ذات صلة وثيقة بأنطولوجيا الفهم[١]. فقد كان همُّ غادامير هو السعى إلى تطوير هيرمينوطيقا فلسفية للعلوم الإنسانية؛ أى إنتاج تأمل فكرى يعيد الاعتبار لمفهوم الحقيقة. بمعنى آخر انتشال الحقيقة من حوضها المحلى إلى اطارها العالمى الذى يستمد جوهره من التجربة الإنسانية.

فالهيرمينوطيقا ليست «منهجاً للحصول على الحقيقة»، إنّها، فى نظر غادامير، ليست منهجية للعلوم الإنسانية ولكنها محاولة من أجل فهم ما فى الحقيقة [...] وما يربطها بكلية تجربتنا فى العالم». فهى تقوم على استراتيجية تنفلت من المنهجية، إذ تقوم باستدراج الوجود إلى اللّغة لتستطيع الإمساك بالكائن وفكره من خلال إشاراته، وعلاماته وإحالته داخل عالم اللّغة أى عالم النّص[٢]. لقد استلهم غادامير المرجعية الهايدغرية المتمثلة فى المنعطف الانطو-فينومينولوجى وذلك ليقلب مسار المعنى - فهم، إلى فهم- المعنى نحو معنى المعنى أو فهم الفهم. وهذا مرده كينونة الإنسان بما هو وجود - فى- العالم.

مارتن هايدغر ولحظة المنعطف كتأسيس أنطولوجى للفهم:

أين يمكننا مَوقعة هيرمينوطيقا غادامير؟، نستطيع فهم هذه الهيرمينوطيقا انطلاقاً من هايدجر، فعلى خلاف ما ذكر فى الكينونة والزمان فإنّ غادامير لا يقدم لنا تحليلاً معيّناً للوجود، [...] وغاية ما يُقدّمه لنا هو فينومينولوجيا تَنهمم بحادثة الفهم، والتى تنطلق من بعض المنجزات الهيرمينوطيقية لهايدجر، لتُعاود تملُّكها بطريقتها الخاصة المتميزة[٣]. يتمثل التحدى الرئيسى من هذا العمل الكبير لغادامير،

١- هشام معافة، مرجع سابق، ص١٢.
٢- عبد الله بريمي، مرجع سابق.
٣- جان غراندان، مرجع سابق، ص١٢٦.

«الحقيقة والمنهج»، فى إبراز أنّ التأويل ليس فقط وسيلة لفهم العلوم الإنسانية ولكن تجربة الفهم أيضاً التى تُبنى على أساس الحدث الوجودى الأساسى لإظهار شكل حقيقى من الحقيقة. إلاّ أنّ هذا الفهم، ينتمى دائماً لإرث هايدغر، هذا الأخير هو فى المقام الأول فهم وجودى. لا يقتصر على فهم شخصى بل فهم الذات من «التجربة المعيشة [Erlebnis] ، فمثلاً، فهم العمل الفنى هو فهم الفنان ككائن»[١].

ليس من المُستبعد أن يكون غادامير أقام نسقه الهيرمنيوطيقى على أساس فلسفة هيدغر الوجودية، وبخاصة فيما يتعلق بحقيقة الفهم الوجودى، ويمكننا أن نستشف ذلك من قوله: « وعليه وجدت، من جانبى، المنطلق الأول فى نقد المثالية (Idealismus)والمنهجاوية–(Methodologismus) اللتين ميّزتا عهد نظرية المعرفة– إمتداد مفهوم الفهم إلى الوجودى عند هيدغر بمعنى التصميم الحاسم للدازاين – الوجود فى العالم (Dasein) –، يعبّر عندى عن مرحلة حاسمة، فإنه تحت تحريضه، حملنى هذا المفهوم على مجاوزة مناقشة المشكلات المرتبطة بنقد المنهج لتوسيع مسألة التأويل فيما وراء حقل العلم وإدراج تجربتى الجمال والتاريخ»[٢].

رفض غادامير التعريف القائل بأنّ المنهج هو قواعد وأدوات استراتيجية تفرضها الذات على الموضوع، فستبدأ عملية الفهم مع غادامير مُستنداً إلى آراء هايدغر فى علاقة الذات بالموضوع. إنّ تطبيق القواعد المنهجية على الموضوع يجعل الذات تفهم الموضوع وُفقاً لتصوراتها المنهجية وليس وُفقاً للحقيقة المبنية على التحام الذات بالموضوع فى خبرة حميمية كما يقول غادامير. لقد استند غادامير إلى الآراء التى حاولت ربط العلاقة بين علوم الفكر وعلوم الطبيعة خاصة آراء الفيزيائى هارمان فون هيلمهولتز(١٨٢١-١٨٩٤).

---

1 -Hans-Georg - Gadamer, **op.cit**, .

٢- هانز جورج غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، مرجع سابق، ص ١٧٥.

إلاّ أنّ التأويل عند غادامير يكون فيه المقياس هو «الشيء نفسه» (La chose meme) وليس الإقرار بحقيقة «الشيء فى نفسه» (La chose en soi)، يقول غادامير: «ينبغى لفن التأويل أن ينطلق من مسألة أنّ الفهم هو الوجود فى علاقةٍ مع الشيء نفسه». وعلى هذا الأساس يميّز غادامير بين نوعين من الفهم: الفهم الجوهرى وهو فهم محتوى الحقيقة، الفهم القصدى وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف[١].

الفهم التأويلى بما هو تجربة إنسانية لدى غادامير:

إنّ المحك فى التجربة التأويلية هو بالضبط فهم أساسى للذات الإنسانية فى العالم. التجربة التأويلية ليست نموذج للمعرفة؛ بل هى بالأحرى، «الأصل من كينونة الإنسان فى العالم» حسب أسلوب هايدغر[٢]. إنّ الفهم التأويلى فى علاقته بالخبرة الإنسانية عند غادامير ينبنى على ثلاثة سياقات مجالية:

أ- المجال اللغوى ويتعلق بالعلاقات والمعانى والدلالات، فلفهم قصيدة ما على سبيل المثال: يمكننا تأمل هذه القصيدة بدقة، ومقارنتها بغيرها من القصائد، ويمكننا معرفة بحرها الشعرى ومعرفة المدرسة الشعرية التى تنتمى إليها، ويمكننا من جهة أخرى البحث عن كل الصور والاستعارات التى تحتويها، ومناقشة كل التفاصيل المتعلقة بهذه القصيدة. قد نكون بنيويين إذا بحثنا عن جملة العناصر المشكِّلة لبنية هذه القصيدة، وقد نكون سيميائيين إذا بحثنا عن إشاراتها ورموزها. كل هذا الاشتغال على القصيدة قد يكون ممتعاً ومفيداً، غير أنّ شيئاً واحداً لا نحققه بذلك «الفهم»، فإذا أردنا الوصول إلى الفهم الحقيقى لهذه القصيدة، يجب علينا

---

١ - مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص٦.

2- Klapwijk Jacob, «The Universal in Hans-Georg Gadamer's Hermeneutic Philosophy», *Philosophia Reformata* 50, 1985, P.٥.

أن نتماهى معها وأن ننصهر فى آفاقها، لكى نلج إلى عمقها الأنطولوجى. قد تُثبت كل المعلومات والإجراءات السابقة أنها صحيحة، ولكن لا يمكن لكل هذه النظريات والمناهج أن تُعوّض عن الدخول، إلى عالم القصيدة نفسه، الذى يبقى عصياً عن أى منهج أو تكنيك. يُفترض بهذه الملاحظة أن تُلفت الإنتباه – ولو نسبياً – إلى الفارق بين الفهم الابستمولوجى القائم على التقنيات والآليات، وبين الفهم الأنطولوجى القائم على المشاركة والحوار[١].

وبالقدر الذى يُصرّ فيه غادامير على الحوار إلا أن الدياليكتيك الذى يرمى إليه «ليس جدل الأضداد، إنه جدل بين أفق المفسر وأفق الثقافة المُتحدّرة التى تواجهنا»، وبعبارة أخرى، فقد عثر غادامير على لحظة من السلب والتساؤل للتأويل تصبح فيه اللغة أبعد من مجرد عبارات وقوالب لفظية وعدَّها مُحرّكاً جوهرياً لما يمكن أن نعتبره عالمية التأويل من منطلق أنّ علاقة الإنسان بالعالم هى أساساً عبارة عن لغة، أى فهم، بهذا المعنى يُصبح التأويل عبارة عن البعد العالمى للفلسفة وليس فقط القاعدة المنهجية لما يمكن أن نسمّيه بالعلوم الإنسانية[٢]. تشكل اللغة إذن أداة للفهم، باعتبارها «مسكن الكينونة»، فمنها وإليها تعود وتنبجس عملية الفهم للعالم فى شكل تصورات ورؤى تأويلية.

ب- المجال الجمالى فيتعلق بالأعمال الفنية، فعند تطرّقنا لمسألة الفن نجد أنفسنا أمام المفارقة التالية: من جهة أوضح غادامير بشكل لا لَبس فيه أنّ ما يسميه «المفاضلة الجمالية» أو «المنتوج الجمالى» ما هو إلاّ تجريد غير قادر على محور انتهاء العمل الفنى لعالمه وتلاحمه معه، ومن جهة ثانية

١- شادي كسحو، مرجع سابق، ص٣.

٢- خيرة حمر العين، «الشعرية وانفتاح النصوص: تعددية الدلالة ولانهائية التأويل»، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد السادس، جانفي ٢٠١٠، ص١٣.

نجد أنّ دور الفن وأهميته ليسا موضع تشكيك أو تساؤل، ذلك أنّ الفن قادر على قهر المسافات الزمنية ومجاوزتها بفضل استخدامه للدلالات وتوظيفه للصور الإبداعية التى تخترق محدودية المكان ولا نهائية الزمان، بهذا المعنى المزدوج للدلالة يصبح الفن وسيلة أساسية للفهم ومن ثم أيضاً يصبح مجالاً لإنتاج الحقيقة[١]. يطرح غادامير سؤال مهم: ماذا نستفيد من العلاقة بين الحقيقة والفنون واللعبة؟ فى الجزء الأول من «الإفراج عن مسألة الحقيقة: تجربة الفن، **Dégagement de la question de la vérité : l'expérience de l'art** » الذى احتوى تحليل نقدى واسع لعلم الجمال عند كانط، فالتجربة الفنية هى تجربة خارجة عن الذات، هى تجربة للكائن، لا انغلاق الذات على نفسها، تجربة الحقيقة، علينا أن نتعامل معها على أنّها هيمنة على كائن موضوع تدعى أنها مستقلة عنه. قام غادامير باستعارة اللعبة (**la métaphore du jeu**)، اللاعبون ليسوا أحراراً، اللعب على محمل الجد، واللعب اعتراف بالنظام، ما هى الآثار المترتبة على الفهم والحقيقة؟[٢] إنّ اللعب بالمعنى الغادامیرى هو فن يعبر عن جمالية الحقيقة كاستراتيجية فى تحقيق التأويل كفن وليس علم، كفلسفة وليس منهجية.

جـ- هيرمينوطيقا الفهم هى نقد للمعرفة التاريخية: إنّ تأويل الظواهر انطلاقًا من ذاتها يعنى فهمها من خلال سياقها التاريخى، وهنا تأخذ الهرمنيوطيقا علاقة ضمنية مع الوضعانية؛ لأنّ مُجمل التاريخ يُشكّل نصاً قابلاً لأن تُفكَّ شفرته. فإذا كانت المدرسة التاريخية قد ألغت كل

---

١ - عمر مهيبل، «هانز جورج جادامير خطاب التأويل، خطاب الحقيقة»، ص٢، انظر الرابط:
www.nizwa.com

2 -Amar Djaballah, **Opcit**, p.36

شكلٍ للمثالية، فلأنّ الظواهر التاريخية تُصبح صامتة إذا لم نُلحقها بسياق أكثر اتساعًا يرتبط بعصر ما، وأخيرًا بالتاريخ الكلى. فلا وجود إلاّ لحوادث تاريخية ستُصبح متكلّمةً من ذاتها، فما هو خاص لا يأخذ أى دلالة إلاّ تبعاً لتغيرات السياق الأكثر عمومية[١]. ما سرّ حضور التاريخ والتراث فى تأويلية غادامير؟، فى الذى كان يعتقد يورغن هابرماس Jürgen Habermas (ولد عام ١٩٢٩، فيلسوف وعالم اجتماع ألمانى) أنّ التاريخ والتراث تعبير عن نزعة محافظة، تمسك غادامير بتاريخية الفهم وانغماره فى التقليد والتراث، ويعود ذلك لكونه افتقد لحرية العقل بالمفهوم الأنوارى، وأيضاً اختلافه عن هابرماس فى طريقة تمثُّل الحوار المثالى[٢]. يعد التاريخ والتراث عند غادامير بمثابة الوعى الذى يختزن الثقافة ويختزل التأويل، فى توليفة عجيبة تطرح ثقافة جديدة للتأويل هى تاريخية الفهم بما هى فلسفة فى الأصل.

سادساً: أبعاد وآفاق الهيرمينوطيقا الغاداميرية: بين الفلسفة المعاصرة والعلوم الإنسانية

إنّ مشكلة الفلسفة المعاصرة يمكن أن تتحد معالمها بمشكلة العلوم الإنسانية. فإذا كانت الفلسفة لها نظرة شاملة للإنسان والعالم، فلا بدّ أن تعتمد، أو تنتقد ما تُتيحه لها العلوم الإنسانية من معرفة تتعلق بوضع الإنسان – فى – المجتمع – إزاء – العالم وهو موضوع العلوم الإنسانية. أو عليها أن تضع بديلاً أو منافساً، [...] ولأنّ هناك اليوم «علوم» إنسانية تتفاوت فى درجة إحكامها وضبطها، فلا بدّ أن تكون علاقة مباشرة بينها وبين الفلسفة المعاصرة، سواءً كان اتجاهها المعارضة، الموافقة أو الاحتواء. فالواقع

١ – هشام معافة، مرجع سابق، ص٣٠.
٢ – المرجع نفسه، ص١٥٦.

أنّ موقف الفلسفة المعاصرة من العلوم الإنسانية – فى حالتها الراهنة – مماثل لموقف ما كان يسمى فلسفة الطبيعة من العلوم الطبيعية. فيجب النظر فيما ينبغى أن تكون عليه الحدود بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، وتعيين مناطق النفوذ بينها، بحيث يُصان لكلّ منهما موضوعه، منهجه وغايته[١]. ولا نجد فى سبيل إنجاز هذه المهمة إلاّ الهيرمينوطيقا كحلقة تواصل بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، فما هى أبعاد وآفاق هذا التواصل المنجز تحت مظلة هيرمينوطيقية؟

البؤرة الوحيدة لهذا التواصل هى مشكلة الموضوعية فى العلوم الإنسانية، حُرّكت المشكلة من وضعها القديم فى طريق الحل، فكانت هناك عدة قراءات لمسألة الموضوعية تراوحت بين اعتبارها: واقعة أو ماهية أو بنية[٢]. ينزع أنصار «الماهية»، إلى التأكيد الصارم للخلاف بين العلوم الإنسانية والطبيعية، وقلب المشكلة هو توطئة للتأسيس الجذرى للعلوم الإنسانية، فأصالة الموضوع الخاص بالعلوم الإنسانية هو «الذاتية»، بمعنى النفاذ إلى داخل الظاهرة الإنسانية وجوانيتها. فالوجود الإنسانى أو الظاهرة الإنسانية تتعين «بالوعى» الذى يقصد إلى «المعنى» ويهدف إلى «القيمة» من خلال «تجربة معيشة» لها «تاريخيتها» الخاصة المتفردة فى الزمان والمكان. ولا يكون هذا النفاذ إلاّ عبر مناهج التفهم (verstehene) الأمر الذى يمضى بالباحث إلى الأساس الصلب الذى يُقيم عليه تفسيراته وتأويلاته للظاهرة الإنسانية والاجتماعية[٣]. من هنا تنجلى ضرورة الحديث عن أهمية الفهم لإنجاز الحوار المعرفى بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، أنقاض هذه العلوم من الافتراض القائل بالحقيقة المطلقة المستندة إلى منهج العلوم الطبيعة.

١- صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢١-٢٢.

٢ – المرجع نفسه، ص٧٥.

٣ – المرجع نفسه، ص١١٦.

فى حوار أجراه كل من فيليب فورجيه وجاك لوريدير مع غادامير: «ما فحوى الحقيقة والمنهج، ما التأويلية التى تريد تأسيسها؟». اتضح أنّ غادامير أثّر بعمق فى تطور العلوم الإنسانية فى اللحظة المعاصرة بألمانيا والشاهد حواره مع هابرماس، حيث يقول فى هذا الصدد: «أنطلق فى تأويليتى من فكرة مفادها أنه يجب نزع الصفة المطلقة (Desabsolutiser) عن المثل الأعلى للمنهج، هذا المثل مُستخرج من العلوم الصحيحة. هدفى هو نظام ما (Discipline) لا بمعنى الفرع الخاص بالمعرفة بل أقصد الموقف المتّسم بالدقة والصرامة – يشمل السيطرة على المنهج عبر تجاوزه [...] المنظرين يتصورون أنّ العلم وصحّته هو حل لألغاز العالم. ولكننا ننسى أنّ العلم لا يعرف العالم ولا يفتحه إلاّ فى اتجاه خاص». «ما الذى يميز علوم الانسان، أين تتمفصل تأويليتك مادياً؟» ما يُميّز العلوم الإنسانية أنّها لا تستخدم مناهج معروفة فقط بل قدرة على الفهم [...] تتجاوز القدرات التى نكتسبها عقلياً [...] أوسّع فى تأويليتى البعد الجديد الذى أعطاه هايدغر لهذا المفهوم: ليس الفهم شكلاً خاصاً للعلاقة بالعالم بل هو «أصل كينونى» (existential)، شكل الكينونة نفسها للوجود فى العالم [...] ماذا يحدث فعلياً أثناء الفهم [...] إنّ تحول السياسة إلى علوم سياسية يبدو لى نموذجياً فى هذا الصدد[١]. إذ أنّ غادامير تحدث فلسفياً عن «ضرورة التفكير من داخل نظرية التأويل»[٢]، هنا مربط الفرس، الفلسفة الهيرمينوطيقية عند غادامير تؤسس لهيرمينوطيقا فلسفية ذات بعد عالمى لها أفق جعل الفن والتاريخ والتراث واللغة، أدوات جديدة للفهم أساسها الحوار، عكس ما نبذه أنصار النظرة الميتودولوجية واعتبروه أحكام مسبقة.

---

١ – هانز جورج غادامير، «سلطة الفلسفة»، جاك دريدا وآخرون، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية – سورية، ط١، ٢٠٠٤، ص١٥٥-١٥٦.

2 - Klapwijk, **Op.cit**, P12.

خاتمـــة:

ترتيباً على ما تقدم يمكن أن نستنتج أنّ مقاربة غادامير لسؤال المنهج اعتمدت فى أساسها السجالى على محاورته للفكر الرومنسى - شلايرماخر- والرؤية الابيستيمية -دلتاى- بالاستناد إلى أنطولوجيا هيدغر، حيث خرج بالمنعطف الجذرى فى اتجاه العلاقة بين المنهج والحقيقة. وعليه فإنّ غادامير طرح ما يُعرف عنده بالفهم الأنطولجى باتّباع مسار «حقيقية – منهج»، عكس التصور السابق عنه لدى شلايرماخر ودلتاى الذى اتجه إلى منحى «منهج – حقيقة». إنّ هدا القلب الجذرى للعلاقة له ما يبرره ضمن التجربة الإنسانية المَعيشة التى تشكلت من مجالات الفن، التاريخ واللغة.

وهذه الرؤية الجديدة للمنهج تنطلق من مجاوزة هذا الأخير باعتباره مجموع قواعد وتقنيات صارمة تُطبّق على الظاهرة الإنسانية محاكاةً للطبيعيات، إلى ضرورة اعتبار الحقيقة فى حقيقتها مُرتبطة بإعطاء أهمية كبيرة للأحكام المُسبقة والتراث فى إطار ما يُعرف بالحوار.

بيبلوغرافيا المصادر والمراجع باللغة العربية:

- بريمى، عبد الله، «غادامير أم ريكور»، (27-08-2010)، انظر الرابط:

www.ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=504

- حمر العين، خيرة، «الشعرية وانفتاح النصوص: تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل». مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، العدد السادس، (جانفى ٢٠١٠)، ص- ص١١-٣٠.
- جاسبر، دافيد، مقدمة فى الهرمنيوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- دحمانية، مليكة، «فصول فى القراءة والتأويل من خلال نماذج غربية معاصرة». أطروحة دكتوراه فى الأدب العربى، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر ٢، السنة الجامعية: ٢٠١٠-٢٠١١.
- شلبى، محمد، المنهجية فى التحليل السياسى: المفاهيم، المناهج، الاقترابات، والأدوات، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٢.
- غادامير، هانز جورج، بداية الفلسفة، ترجمة على حاكم صالح وحسن ناظم. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- ، «سلطة الفلسفة»، جاك دريدا وآخرون. مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٤.
- ، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقى الزين، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافى العربى المغرب، منشورات الاختلاف، بيروت- الجزائر، ط.٢، ٢٠٠٦.
- ، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط١، ٢٠٠٦.
- ، التلمذة الفلسفية: سيرة ذاتية، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازى، ط١، ٢٠١٣.
- ، «مدخل الى أسس فن التأويل: التفكيك وفن التأويل»، ترجمة وتقديم محمد شوقى الزين، انظر الرابط:

www.aljabriabed.net/n16_08azin_gadami.htm

- غراندان، جان، المنعرج الهرمينوطيقى للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، بيروت-الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.
- قارة، نبيهة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- قنصوه، صلاح، الموضوعية فى العلوم الإنسانية: عرض نقدى لمناهج البحث، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
- كسحو، شـــادى، «حدود المنهج: مدخل إلى هرمنيوطيقا غادامر»، (05-2015- 15)، أنظر الرابط:

www.alawan.org/rubrique15.html?debut_articles=20

- مصطفى، عادل، فهم الفهم: مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
- المطيرى، عبد الله، «قراءة فى كتاب الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية لهانز جورج غادامير » ، جريـدة الريـاض ، العـدد: ١٤٤٥٨، (٢٠٠٨.٠١.١٤)، انظر الرابط:

www.alriyadh.com/311513

- معافة، هشام، «هيرمينوطيقا الفن عند غادامير»، مذكرة ماجستير، فرع الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة باتنة، السنة الجامعية: ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
- مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، «الهرمنيوطيقا وحدود الفهم»، انظر الرابط:

www.cerhso.com/detail-science-humaines.asp?idZ=8&id=1

- منصور، آمال، «الهيرمينوطيقا واشكاليات تأويل الخطاب الدينى». مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث فى نظريات القراءة ومناهجها، قسم الادب العربي، جامعة بسكرة.

www.lab.univ-biskra.dz/Labreception/images/labreception/doc_pdf/critique_heurmoneyique_pdf.pdf

- مهيبل، عمر، «هانز جورج جادامير خطاب التأويل، خطاب الحقيقة»، مجلة نزوى، العدد: ٨٦، (٢٠٠٠.٠٤.٠١)، انظر الرابط:

www.nizwa.com

باللغة الأجنبية:

- **Djaballah, Amar, «L'herméneutique selon Hans-Georg Gadamer », *théologie évangélique* vol. 5, n° 1, 2006 p. 31-68**
- **Gadamer, Hans-Georg, trad. fr. par P. Fruchon, J. Grondin, G. Merlio, Vérité et méthode : les grandes lignes d'une herméneutique philosophique, Paris, Seuil, 1996 See: www.orbi.ulg.ac.be/bitstream/2268/177088/1/Vérité et méthode.Gadamer.Présentation.pdf**
- **Klapwijk, Jacob «The Universal in Hans-Georg Gadamer's Hermeneutic Philosophy» *Philosophia Reformata* 50 (1985), P. 29-119.**